بلاغة الكلمة في سورة الواقعة

د. زينة عبد الجبار محمد
الجامعة المستنصريّة/ كليّة التربية
قسم اللغة العربيّة

المقدّمة : لا شكّ في أنَّ علم البلاغة من أعظم العلوم المعينة على معرفة معاني النصوص القرآنية والأدبية ، ولا شكّ في أنَّ (بلاغة القرآن) أحقّ بالتعلّم وأولى بالتحفظ ؛ لسببين رئيسين :
الأوّل- إنَّ المضمون القرآني أحقّ بالتعلّم من المضمون الإنسانيّ (الأدبيّ).
الثاني- إنَّ وصف البلاغة أظهر في النصّ القرآني بأعلى مستوى ، بخلاف النصّ الأدبيّ الذي لا يعدو وصفه بالبلاغة أنْ يكون اعتباريّاً لا حقيقيّاً .

ولبلاغة القرآن مظاهر وأمثلة يعجز المحصون عن إحصائها ، وحسبهم أنْ يكشفوا عن ما وصلوا إليه من مظاهرها وأمثلتها ؛ ليأتي مِن بعدهم مَن يزيد على جهودهم ما يزيد .

ومن أوضح مظاهر بلاغة القرآن وأعظمها : (بلاغة الكلمة القرآنية). فللكلمة القرآنية أثرٌ كبير في تحقيق بلاغة الكلام ، فبلاغة الكلمة سببٌ من أسباب بلاغة الكلام . وليس للكلمة الخارجة عن السياق فضيلة ولا قيمة ثابتة في ميزان البلاغة ، وإنّما تحصل البلاغة بالسياق ، والكلمة جزء منه ، فبلاغة الكلام متأثرة باختيار الكلمة .

ومن هنا جاء اختياري لموضوع (بلاغة الكلمة في سورة الواقعة) قاصدةً الكشف عن جانب من جوانب أسرار التعبير القرآنيّ في سورة الواقعة ، معتمدةً المنهج التحليليّ القائم على أسس ثلاثة :

الأوّل- تحديد المعنى المستمدّ من الكلمة المستعملة بعد النظر في دلالة السياق والمقام .
الثاني- البحث عن كلمةٍ بديلةٍ تبدو مقاربةً في المعنى للكلمة المستعملة .
الثالث- الكشف عن مناسبة معنى الكلمة المستعملة للسياق والمقام دون معنى الكلمة البديلة .

وربّما بدا واضحاً أنَّ اختيار الكلمة الاسمية والفعلية راجع إلى اختيارها من مادّة لغويّة اشتقاقيّة معينة ، وصياغتها على صيغة صرفيّة معينة . واختلاف الكلمة المستعملة والكلمة البديلة إنّما يكون بواحدة من ثلاث صور :
الأولى- اختلافهما في المادّة دون الصيغة ، كما في (المشأمة) و (الميسرة).
الثانية- اختلافهما في الصيغة دون المادّة ، كما في (بدّل) و (استبدل) .
الثالثة- اختلافهما في المادّة والصيغة معاً ، كما في (لغو) و(كِذّاب) .

أما الكلمة الحرفيّة (الحروف) فلا يرى اللغويون أنّها مشتقّة من مادّة ولا موضوعة على صيغة ، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ تغاير الحرفين صوتيّاً لا يشير إلى تغايرهما معنويّاً ، فاختلاف المباني –حتى الحرفيّة- دليلٌ على اختلاف المعاني .

ومن هنا جاء تقسيم موضوعات البحث على ثلاثة مباحث:
الأول- بلاغة الاسم في سورة الواقعة ، وقد تضمّن دراسة بعض المشتقّات والجموع وغيرها .
الثاني- بلاغة الفعل في سورة الواقعة، وقد تضمّن دراسة بعض الأفعال المزيدة والمبنيّة للمجهول وغيرها.
الثالث- بلاغة الحرف في سورة الواقعة ، وقد تضمّن دراسة طائفة من حروف الجرّ.

المبحث الأوّل
بلاغة الاسم

أوّلاً/ بلاغة المشتقّات

أ- بلاغة اسم الفاعل

1- (مالئ – شارب) :

قال تعالى: (فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) (1) ، وقال تعالى: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) (2) .

قال تعالى (فمالِئون) كما قال (فشارِبون) دون (مملوءة) في الآية الأولى ودون (مشروب) في الآية الثانية ، أي جاء التعبير باستعمال صيغة (اسم الفاعل) في الآيتين وهو قوله تعالى (مالِئون) و (شارِبون) دون استعمال صيغة (اسم المفعول) وهو ما افترضناهُ في قولنا (مملوءة) و (مشروب) على الرغم من تقارب المعنيين ، فـ (مالئ و مملوء) يجمعهما معنى عام واحد هو (الملء) وكذلك الحال في (شارب ومشروب) فمعناهما العامّ واحد وهو (الشرب) ، فلنا أنْ نطرح – هنا – السؤال الآتي:

هل إنَّ استعمال (اسم الفاعل) تحديداً دون غيره في هذا الموضع يحقّق بلاغةً معينةً ؟

الجواب: للكشف عن هذا لابدَّ لنا من الرجوع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هاتين الآيتين وردتا ضمن السّياق الآتي: قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (3) .

وفي المقام نجد أنَّ الله تعالى يصف لنا في الآيتين حال أصحاب الشّمال في النار مبيناً طعامهم وشرابهم المذمومين ، فجاء التعبير باستعمال صيغة اسم الفاعل في هذا الموضع لأنَّ فيها دلالة تناسب المقام ومقتضى الحال ، فاسم الفاعل يدلّ – كما يقول النحاة – على الحدث والحدوث وفاعله (4) ، وقد بيّن د. فاضل السامرائي معنى ذلك بقوله " ويقصد بالحدث معنى المصدر ، وبالحدوث ما يقابل الثبوت فـ (قائم) – مثلا – اسم فاعل يدلّ على القيام وهو الحدث ، وعلى الحدوث أي التغيّر فالقيام ليس ملازما لصاحبه ويدلّ على ذات الفاعل أي صاحب القيام " (5) ، فقوله

تعالى (مالِئون) و (شارِبون) يدلّ أوّلاً على الحدث وهو (الملء والشرب) وعلى الحدوث أي التغيّر فالملء والشرب ليسا ملازمين لصاحبهما كما يدلّ على ذات الفاعل أي أنَّ أصحاب الشّمال قد أحدثوا هذا الحدث بأنفسهم ، فقد ملأوا بطونهم بالزّقوم وشربوا عليه الماء الحميم بسعي منهم وهذا أبلغ في مقام التنكيل والتعذيب ممّا لو قيل (مملوءةٌ) و (مشروبٌ) الذي يجعلهم في موضع المفعول به وليس الفاعل ؛ لأنَّه يوحي بتأثير مؤثّر خارجيّ في حدوث الحدث كخزنة النار – مثلاً – وهذا ما لا يناسب المقام ، فتلقيهم العذاب في النار فضلاً عن سعيهم إلى ذلك العذاب بأنفسهم فيه من الشدّة ما يناسب المقام الذي يستلزم بيان شدّة العذاب كما يناسب مقتضى حال أصحاب الشّمال بما هم عليه من الضلال و التّكذيب ، وعليه يكون استعمال اسم الفاعل – هنا – استعمالاً بليغاً ، والله أعلم .

2- (منبثاً) :

قال تعالى: (فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا) (6) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال صيغة اسم الفاعل (منبثّاً) دون صيغة اسم المفعول (مبْثُوْثاً) ، وللكشف عن السّر في هذا التعبير لابدَّ لنا – أوّلاً – من ملاحظة السّياق الذي وردت فيه هذه الآية وهو قوله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً) (7) .

وبصرف النظر إلى المقام نجد أنَّ الله تعالى يصف فيه حال الأرض والجبال يوم تقوم السّاعة ، فقال تعالى: (فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا) (8) ، أي غباراً منتشراً (9) ، فكان التعبير – هنا – باستعمال صيغة اسم الفاعل (مُنْبَثّاً) مناسباً لمقتضى الحال ، لأنَّه اشتُقَّ من الفعل المزيد (انبثَّ) المطاوع للفعل (بَثَّ) ، يُقال: بَثَّهُ فانْبَثَّ ، والفعل (انبَثَّ) على صيغة (انفَعَل) الدالّة على قوّة المطاوعة (10) في أصل الفعل ، ومعنى القوّة في هذه الصّيغة هو ما يناسب مقتضى حال الأرض والجبال إذ تتبعثر وتنتشر انتشاراً شديداً في ذلك اليوم ، في حين لو قيل – هنا – (مَبْثُوْثاً) لما ظهر المعنى المناسب لمقتضى الحال ؛ لأنَّ (مَبْثُوْثاً) اسم مفعول يُشتقُّ من الفعل المجرّد (بُثَّ) الذي لا نجد فيه معنى قوّة المطاوعة في حدوث البثِّ كالذي نجده في الفعل

(انبَثَّ) ، فانبَثَّ أبلغ من بُثَّ ؛ لأنَّ في زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى (11) ، وهذه الزّيادة (قوّة المطاوعة) تلائم مقتضى الحال ، والله أعلم .

ب- بلاغة اسم المفعول

1- (مخلّد) :

قال تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) (12) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال صيغة اسم المفعول في قوله تعالى (مخلّدون) دون استعمال صيغة اسم الفاعل (خالدون) على الرغم من تقارب المعنيين بينهما ، وللكشف عن السّر في هذا الاستعمال علينا أولاً ملاحظة السّياق الذي وردت فيه هذه الآية وهو قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ) (13) .

وبملاحظة المقام نجد أنَّ الله تعالى يصف لنا فيه حال السابقين من المؤمنين في الجنة كما يصف جزاءهم فيها ومن جملته ما أعدّه لهم من الخدم وهم ولدان قائمون على خدمة السابقين في الجنة بقصد توفير الراحة لهم جزاءً بما عملوا في الدنيا فوصفهم بأنَّهم (مخلّدون) على صيغة اسم المفعول ؛ لأنَّ فيه دلالة تناسب المقام ومقتضى الحال ، فكما يقول د.فاضل السامرائي " اسم المفعول ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كمقتول ومأسور " (14) .

فإذن قوله تعالى (مخلّدون) يدلّ على الحدث وهو (التخليد) وعلى الحدوث أي التغيّر فصفة الخلود ليست ملازمة لصاحبها كما يدلّ على أنَّ الولدان قد اكتسبوا صفة الخلود على سبيل المفعوليّة وليس الفاعليّة ومعنى ذلك أنَّهم اكتسبوا تلك الصفة بفعل فاعل وهو (الله تعالى) ولم يكتسبوها بفعل أنفسهم ، وهذا يناسب المقام بوصفه مقام تكريم يستلزم توفير الراحة للسابقين عن طريق وجود من يقوم على خدمتهم فجعل (الله تعالى) لهم من يقدّم تلك الخدمة وهم (الولدان) ومنحهم صفة الخلود إشارة إلى استمرار

الخدمة ، كما يناسب مقتضى حال الولدان لأنَّهم غير قادرين على تخليد أنفسهم بأنفسهم ولا يوجد من يقوى على منح صفة الخلود غيره تعالى ، فعدل عن وصفهم بـ (خالدون) لأنَّ في صيغة اسم الفاعل إشارة إلى فاعل يحدث الحدث بنفسه وهذا ينافي المقام ومقتضى الحال . ومن المفيد – هنا – أنْ نكشف عن آراء بعض المفسرين في قوله تعالى (مخلّدون) فمنهم من يرى أنَّهم مبقون أبداً على شكل الولدان أو أنَّهم يحلّون بلبس القرط أو أنَّهم أولاد أهل الدنيا الذين لم يحصلوا على حسنات أو سيئات أو أنَّهم أولاد الكفار يخدمون أهل الجنة (15) ، كما إنَّ للرازيّ رأياً في قوله تعالى (مخلّدون) إذْ يقول " ... وفي قوله تعالى (مخلّدون) وجهان أحدهم: أنَّه من الخلود والدّوام ، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران ، أحدهما: أنَّهم مخلّدون ولا موت لهم ولا فناء ، وثانيهما: لا يتغيّرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون ، والوجه الثاني: أنَّه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق ، والأول أظهر وأليق " (16) ، وتوافقُ الباحثةُ الرازيّ في قوله (والأول أظهر وأليق) ؛ لأنَّنا إذا اعتمدنا الوجه الثاني لن نحصل على معان تناسب مقام التكريم للسابقين ولا مقتضى حالهم ؛ لأنَّ وجود الأقراط في آذان الولدان لا يعني سوى تجميلهم وهو أمر يخصّ الولدان وحدهم ولا علاقة له بالسابقين أو مقام تكريمهم ، أمّا الوجه الأوّل فيناسب المقام ومقتضى الحال بدلالة قوله تعالى (يَطُوفُ) ففي هذا الفعل من معنى الحركة الدؤوب والانتقال بين صفوف السابقين بشكل مستمر لتقديم الخدمة لهم ما يُوجب معه أنْ يكون الولدان صغاراً لا يتغيّرون عن حالهم ، كما فيه إشارة إلى قدرة الفاعل على إبقائهم على تلك الحال وهو (الله تعالى) ، فكان التعبير – هنا – باستعمال صيغة اسم المفعول دون صيغة اسم الفاعل تعبيراً بليغاً ، والله أعلم.

2- (منضود) :

قال تعالى: (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) (17) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال صيغة اسم المفعول في قوله تعالى (منضود) دون (نضيد) ، أي أنّ التعبير جاء على صيغة (مفعول) دون صيغة (فعيل) الدالّة عليه ، وسرّ هذا التعبير يكمن في معنى صيغة

(فعيل) ، فهي تدلّ على الشدّة والمبالغة أكثر من صيغة (مفعول) (18) ، ولبيان ذلك نوازن بين قوله تعالى: (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) (19) وقوله تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ) (20) ، ففي (نضيد) معنى (منضود) وزيادة ، وهذه الزّيادة هي المبالغة ، فإذا أخذنا بالمفهوم الشائع في تفسير (الطَّلع) وهو أوّل التمر ، نلاحظ أنَّ التّراكب والتّتابع والنّضد (21) فيه أظهر وأوضح وأشد ممّا هو عليه في (الطلح) الذي فُسِّر – على الأشهر- بالموز ، وعليه يكون التعبير – هنا – بقوله تعالى (منضود) مناسباً لمقتضى الحال ، والله أعلم .

ثانياً/ بلاغة المفرد

1- قال تعالى: (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) (22) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال كلمة (كأس) بصيغة المفرد دون الجمع على الرغم من كونها معطوفة على كلمتين مجموعتين هما (أكواب وأباريق) ، وللكشف عن السّر في هذا التعبير أترك الكلام للرازيّ إذ يقول " ... ما الفرق بين الأكواب والأباريق والكأس حيث ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجميع والكأس بلفظ الواحد ولم يقل: وكؤوس (23) ؟ نقول: هو على عادة العرب في الشرب يكون عندهم أوانٍ كثيرة فيها الخمر معدّة موضوعة عندهم ، وأمّا الكأس فهو القدح الذي يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر ولا يشرب واحد في زمان واحد إلا من كأس واحد ، وأمّا أواني الخمر المملوءة منها في زمان واحد فتوجد كثيرا، فإن قيل: الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا وأمّا الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد فما الفائدة فيه ؟ نقول: عدم الطواف بها في الدنيا لدفع المشقة عن الطائف لثقلها وإلاّ فهي محتاج إليها بدليل أنَّه عند الفراغ يرجع إلى الموضع الذي هو فيه ، وأمّا في الآخرة فالآنية تدور بنفسها والوليد معها إكراماً لا للحمل ، وفيه وجه آخر من حيث اللّغة وهو أنَّ الكأس إناء فيه شراب فيدخل في مفهومه المشروب ، والإبريق آنية لا يشترط في إطلاق اسم الإبريق عليها أنْ يكون فيها شراب ، وإذا ثبت هذا فنقول الإناء المملوء الاعتبار لما فيه لا للإناء ، وإذا كان كذلك فاعتبار الكأس بما فيه لكن فيه مشروب من جنس واحد وهو

المعتبر ، والجنس لا يجمع إلاّ عند تنوعه فلا يُقال للأرغفة من جنس واحد: أخباز ، وإنَّما يُقال: أخباز عندما يكون بعضها أسود وبعضها أبيض وكذلك اللحوم يقال عند تنوع الحيوانات التي منها اللحوم ولا يقال للقطعتين من اللحم لحمان ، وأمّا الأشياء المصنفة فتجمع ، فالأقداح وإنْ كانت كبيرة لكنها لما ملئت خمراً من جنس واحد لم يجز أنْ يُقال لها: خمور فلم يقل: كئوس وإلاّ لكان ذلك ترجيحا للظروف ، لأنَّ الكأس من حيث أنَّها شراب من جنس واحد لا بجمع واحد فيترك الجمع ترجيحاً لجانب المظروف بخلاف الإبريق فإنَّ المعتبر فيه الإناء فحسب ، وعلى هذا يتبيّن بلاغة القرآن حيث لم يرد فيه لفظ الكئوس إذْ كان ما فيها نوع واحد من الخمر ، وهذا بحث عزيز في اللغة " (24) . يتّضح ممّا تقدّم أنَّ لفظ (كأس) جاء بصيغة المفرد لأنَّ النظر وقع على ما فيها وهو (الخمر) الذي هو صورة من صور التكريم للسابقين ، ولما كان هذا الخمر من جنس واحد وجب أنْ لا يجمع على خمور وبالتالي لا يجوز أنْ يُقال كئوس ؛ لأنَّ ما فيها نوع واحد من الخمرة ، والله أعلم .

2- قال تعالى: (وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ) (25) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال مفردة (فاكهة) بصيغة المفرد دون مفردة (فواكه) بصيغة الجمع ، ولا بد لذلك من سرٍّ ، وللكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في السّياق الأتي: قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (26) .

وبعد ملاحظة السّياق لابدَّ لنا من التمييز بين دلالة مفردة (فاكهة) ومفردة (فواكه) ، ومن أجل ذلك نترك الكلام للدكتور فاضل السامرائي فقد ميّز بين المفردتين بقوله: " ... إنّ (الفاكهة) اسم جنس ، وهي أعمّ وأوسع

من كلمة (الفواكه) ؛ لأنَّه يشمل الحبة الواحدة والاثنين والجمع ، ويشمل عموم الأنواع . فالتفاحة الواحدة فاكهة وليست فواكه ، والتفاحتان فاكهة وليستا فواكه ، والتفاح فاكهة . وأنواع الفواكه كالتين والرمان والعنب بمجموعها يُقال لها فاكهة . أمّا الفواكه فتُقال للأنواع . وإيضاح ذلك أنَّك تقول للتفاح وحده فاكهة ، وإنْ كثر، ولا يُقال له: فواكه . فإنْ جمعت معه الرمان والتين والتمر ، صحَّ أنْ يُقال لها: (فواكه) وأنْ يُقال لها (فاكهة) أيضاً . فالفاكهة تُطلق على النوع الواحد وعلى الأنواع ، وتُقال للمفرد والمثنى والجمع . أمّا الفواكه فلا تُطلق إلاّ على ما تعدّد ، ولا تُطلق على الحبة الواحدة أو الحبتين ، ولا على النوع الواحد ، فتكون الفاكهة أعمّ وأشمل ويندرج تحت اسمها جميع الفواكه " (27) ، وبعد هذا التمييز الدقيق بين اللفظتين نعود إلى المقام لملاحظة مدى مناسبة لفظة (فاكهة) له، فنجد فيه أنَّ الله تعالى يصف لنا ما أعدّه للسابقين من الجزاء في الجنة ومنه قوله تعالى: (وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ) (28) ، فأفرد (الفاكهة) دلالة على العموم والشمول لأنواع متعددة من الفواكه وهذا ما يلائم المقام (مقام التكريم) ، كما يلائم مقتضى حال السابقين الذي يوجب لهم من التكريم أتمّه " ... ، فإنَّهم أعلى الخلق من المكلفين ... " (29) ، وليس أدلّ على هذا التّمام في التكريم من كلمة (فاكهة) – هنا – لما تحمله من دلالة العموم والسّعة ، أمّا لو استعملت لفظة (فواكه) – في هذا الموضع – لما أدّت المعنى المناسب للمقام ومقتضى الحال لما فيها من دلالة التخصيص والتحجيم.

وكذلك الحال في قوله تعالى: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) (30) ، الوارد في السّياق السابق نفسه ، فقد جاء التعبير بقوله (ولحم طير) بصيغة المفرد دون الجمع وذلك لأنَّ في تلك الصيغة دلالة على العموم والشمول لأنواع متعدّدة من اللحم ، وهو ما يناسب المقام ومقتضى الحال ، والله أعلم . كما جاء في سياق الآيات التي بيّنت جزاء أصحاب اليمين قوله تعالى: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) (31) ، باستعمال صيغة المفرد في كلٍّ من (مقطوعة ، ممنوعة ، مرفوعة) دون الجمع (مقطوعات ، ممنوعات ، مرفوعات) لما في تلك الصيغة من دلالة العموم – كما تقدّم – فهي صفات دلّت على كثرة موصوفاتها وهي (الفاكهة

والفرش) ، فكان التعبير بصيغة المفرد مناسباً لمقام التكريم ومقتضى حال أصحاب اليمين .

وكذلك الحال في قوله تعالى: (أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ) (32) ، الذي جاء في سياق الآيات التي خُوطب فيها أصحاب الشّمال وهي قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ) (33) ، فجاء التعبير باستعمال لفظة (شجرة) بصيغة المفرد دون الجمع (شجر أو أشجار) للدّلالة على العموم والشمول لأنواع الشجر المختلفة حتى قيل في كلِّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار (34) ، وهذا ما يناسب مقام التّذكير بنار الآخرة كما يناسب مقتضى حال المكذبين لما يحدثه من رهبة في نفوسهم فضلاً عن التّذكير بنعمة الله تعالى على البشر إذ جعل من الشجر مصدراً للنار بدلالة قوله تعالى: (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (35) ، والله أعلم .

ثالثاً/ بلاغة الجمع

قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ) (36) .

لقد اشتمل هذا النصّ الكريم على طائفة من الأسرار التعبيريّة منها :

أولاً: سرّ التعبير بكلمة (جنات) بصيغة جمع المؤنث السالم مع التعبير بالمفرد في آخر السورة في قوله تعالى: (فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (37) .

ثانياً: سرّ التعبير بكلمة (سُرُر) بصيغة (فُعُل) دون (أسرّة) بصيغة (أفْعِلَة).

ثالثاً: سرّ التعبير بكلمة (وِلدان) بصيغة (فِعلان) دون (أولاد) بصيغة (أفعال) .

1- سرّ التعبير بـ (جنّات) دون (جنّة):

لعلّ النظر في السّياق والمقام يدلّ القارئ على أنَّ كلمة (جنّات) جاءت بصيغة الجمع لتناسب ما يقتضيه المقام من تعداد النعم والمبالغة في التكريم ؛ لأنَّ المقام في أوّل السورة كان مقاماً تفصيلياً ، اشتمل على بيان

صور مختلفة من نعيم المقرّبين (سُرر موضونة ، متكئين عليها ، متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلّدون ، بأكواب ، وأباريق ، وكأس ، من معين ، لا يصدّعون عنها ، ولا ينزفون ، وفاكهة ، ممّا يتخيّرون ، ولحم طير ، ممّا يشتهون ، وحور عين ، كأمثال الؤلؤ ، المكنون ، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ...) فالمقامُ مقامَ تفصيلٍ وإطنابٍ وترغيبٍ وتعدادٍ لنعم الله تعالى على المقرّبين ، فناسب ذلك التعبير بصيغة الجمع (جنّات) وإضافتها إلى كلمة (النّعيم) معرّفة .

أما في آخر السورة فقد كان المقامُ مقامَ إيجازٍ ، فقال تعالى: (فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (38) ، فافردها وأضافها إلى كلمة (نعيم) نكرة ، ثم إنَّ الحديث في أوّل السورة كان عن السابقين المقرّبين وهم جمع بلا شك ، فناسب ذلك أنْ يكون التعبير بالجمع (جنّات) ، أمّا في آخر السورة فعلى الرغم من ورود كلمة (مقرّبين) بصيغة الجمع إلاّ أنَّ الحديث كان عن فرد غير محدد منهم: (فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (39) ، أي إنْ كان المتوفى من المقرّبين ، فناسب ذلك إفراد (جنّة) .

وقد جاءت في التفسير الكبير إشارةٌ إلى سرّ التعريف والتنكير فقيل: " ... عرّف النعيم ههنا وقال في آخر السورة: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ} (الواقعة: 89) بدون اللام ، والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنّة من هذه الجنّات وهذه معرفة بالإضافة إلى المعرفة ، وتلك غير معرفة فما الفرق بينهما ؟ فنقول: الفرق لفظي ومعنوي فاللفظي هو أنَّ السابقين معرّفون باللام المستغرقة لجنسهم ، فجعل موضع المعرّفين معرّفاً ، وأمّا هناك فهو غير معرّف ؛ لأنَّ قوله: {فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (الواقعة: 88) أي إنْ كان فرداً منهم فجعل موضعه غير معرّف مع جواز أنْ يكون الشخص معرّفاً وموضعه غير معرّف ، كما قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (الذاريات: 15) و{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} (القمر: 54) وبالعكس أيضاً ، وأمّا المعنوي: فنقول : عند ذكر الجمع جمع الجنّات في سائر المواضع فقال تعالى: {إنَّ المتقين في جنات} وقال تعالى: {أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (الواقعة: 11،12) لكنْ السابقون نوع من المتقين ، وفي المتقين غير السابقين (40) أيضاً ، ثم إنَّ

السابقين لهم منازل ليس فوقها منازل ، فهي صارت معروفة لكونها في غاية العلو أو لأنَّها لا احد فوقها ، وأمّا باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة فهم في جنّات متناسبة في المنزلة لا يجمعها صقع واحد لاختلاف منازلهم ، وجنّات السابقين على حد واحد في أعلى (41) عليين يعرفها كلُ احد ، وأمّا الواحد منهم فإنَّ منزلته فوق المنازل ، ولا يعرف كل احد أنَّه لفلان السابق فلم يعرفها ، وأمّا منازلهم فيعرفها كل أحد ، ويعلم أنَّها للسابقين ، ولم يعرف الذي للمتقين على وجه كذا " (42) .

2- سرّ التعبير بكلمة (سُرُر) دون (أسرّة):

ربما بدا واضحاً أنَّ كلمة (سُرُر) جاءت على صيغة من صيغ جمع الكثرة ، وأنَّ كلمة (أسرّة) جاءت على صيغة من صيغ جمع القلة ، فالفارق بين المعنيين هو السّر في التعبير بالأولى دون الثانية ؛ لأنَّ المقامَ كما هو واضح مقامُ تكريم للمقربين ، فكان لابدَّ من بيان عظيم النعيم الذي ينتظرهم وينتظرونه ، ومن صوره كثرة (السُّرُر) التي يتكئون عليها متقابلين . ولا شكّ في أنَّ التعبير بكلمة (أسرّة) لنْ يؤدّي هذا المعنى المقصود المناسب للسّياق والمقام ومقتضى الحال .

3- سرُّ التعبير بكلمة (وِلدان) دون (أولاد):

ولذلك أيضاً جاء التعبير بكلمة (وِلدان) وصيغتها من صيغ الكثرة دون (أولاد) التي على صيغة من صيغ القلة ، ولا شكّ في أنَّ المقام يستلزم التعبير بذلك ؛ لأنَّ السابقين المقربين كثيرون بلا شكّ وإنْ كانوا أقلّ من أصحاب اليمين ، فلابدَّ لخدمتهم من وِلدان كثيرين ، وفي هذا ما فيه من تصوير دقيق لمقدار النعيم الذي ينتظرونه ، والله أعلم .

المبحث الثاني
بلاغة الفعل

أوّلاً/ بلاغة الفعل المجرّد والمزيد

1- (سَمِعَ) :

قال تعالى: (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا) (43) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل المجرَّد (سَمِعَ) فقال تعالى (لا يَسْمَعُونَ ...) الآية ، دون الفعل المزيد (استَمَعَ) على الرغم من تقارب المعنيين بينهما ، ولنا أنْ نسأل عن السّر في هذا الإستعمال ؟ والجواب: إنّ الفعلين (سَمِعَ) و (استَمَعَ) مشتقّان من مادّة واحدة (44) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، إلاّ أن السرّ في استعمال الفعل (سَمِعَ) دون الفعل (استَمَعَ) – في هذا الموضع – إنَّما يكمن في المعنى الخاص لصيغة الفعل (استَمَعَ) وهي صيغة (افتَعَلَ) الدّالة على العمدِ (45) في السّمع ، وهذا العمد لا يناسب المقام (مقام التكريم للسابقين) ، ففيه نجد أنَّ الله تعالى يخبرنا عن جزاء السابقين من المؤمنين في الجنة، ومن صوره أنّه تعالى نفى عنهم سماع نوع مذموم من الكلام هو (اللّغو والتّأثيم) ، فقوله تعالى: (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا) (46) – هنا – أبلغ ممّا لو قيل – في غير القرآن – (لا يَسْتَمِعُونَ فِيهَا ...) ؛ لأنَّ في الأوّل دلالة على نفي السّمع غير المقصود وغير المتعمّد فضلاً عن نفي السّمع المقصود والمتعمّد في الثّاني ، فإذن نفي الحد الأدنى للسّمع في قوله تعالى (لا يَسْمَعُونَ) عن السابقين أنسب لما يقتضيه حالهم وأظهر لجزائهم في الجنة من نفي الحد الأعلى له في عبارة (لا يَسْتَمِعُونَ) الدّالة على العمدِ. ومن جانب آخر يشير الفعل (سَمِعَ) – هنا – إلى أنَّ (اللّغو والتّأثيم) صنف من أصناف الكلام المذموم الذي لا يستحقُّ العناية به والعمد في سماعه ، بخلاف الفعل (استَمَعَ) الذي يدلّ على أهميّة المسموع وضرورة العناية والاهتمام به والعمد في سماعه كما ورد في قوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (47) ، فالقرآن كلام الله تعالى وهو دستور المسلمين المنظم لأمور دينهم ودنياهم ، فله من الأهمية ما يُوجب معها العناية به والعمد في سماعه وتدبّره ، فجاء التعبير باستعمال الفعل (استَمَعَ) مناسبةً لمقتضى الحال في هذا الموضع كما جاء التعبير باستعمال الفعل (سَمِعَ) مناسبةً لمقتضى الحال في ذلك الموضع ، والله أعلم .

2- (أنزلَ) :

قال تعالى: (أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) (48) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (أنزَلَ) دون الفعل (نَزَّلَ) على الرغم من اشتقاقهما من مادّة واحدة (49) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، فما السّر في هذا التعبير ؟

للكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد في السّياق أنَّ هذه الآية وردت ضمن الآيات التي خُوطب فيها أصحاب الشّمال، وهي قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (50).

وبالنظر إلى المقام نجد أنَّ الله تعالى يخاطب فيه الضّالين المكذّبين (أصحاب الشّمال) مذكراً إياهم بما مدَّهم به من النّعم ومنها (الماء) ، مشيراً إلى قدرته تعالى وحده على إنزاله من المزن دون غيره ، فجاء التعبير – هنا – بالفعل (أنزَلَ) دون الفعل (نَزَّلَ) لأنَّ في (أنزَلّ) مناسبة معنوية للمقام ومقتضى الحال ، وقد تحدّث د. فاضل السامرائي عن هذين الفعلين قائلاً: " والذي يبدو أنَّ استعمال (نَزَّلَ) قد يكون للتدرّج والتّكثير وقد يكون للاهتمام والمبالغة ... فالتّنزيل قد يُستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال ... " (51) ، فالفعلان (أنزَلَ ونَزَّلَ) يدلان على معنى التعدية ، أي جعل الفاعل مفعولاً ، ففي قولنا: نَزَلَ الماءُ مِن السماءِ ، كان الماء (فاعلاً) ثم صار (مفعولاً) في قولنا: أنزَلَ اللهُ الماءَ مِن السماءِ ونَزَّلَ اللهُ الماءَ مِن السماءِ ، والفرق بين الفعلين أنَّ في (نَزَّلَ) زيادة في المعنى ليست في (أنزَلَ) ، فالمضعّف (نَزَّلَ) يدلّ على التدرّج ونحو ذلك ، وليس في (أنزَلَ) دلالة على ذلك ، وبالعودة إلى المقام نجد أنَّ التركيز فيه يقع على الحدث وهو (الإنزال العام) ، كما أنَّ الله تعالى أراد أنْ يؤكد – فيه – العموم في القضية ولم يُرد المقارنة بين إنزالين أو تنزيلين أو سببين للنزول ولكنَّه أراد المقابلة بين إنزال المخلوق (المفترض) وإنزال الخالق (الواقع) ودليل ذلك هو تقديم ضمير المخاطب (أنتُم) على الفعل (أنزَلتُمُوه) لأنَّ الفاعل هو الذي يحتل مركز العناية والاهتمام ، وبهذه الطريقة استنكر الله تعالى أنْ يكون أصحاب الشّمال فاعل الإنزال ، وبعرض معنيي الصيغتين على المقام – في هذا الموضع – نجد أنَّ الفعل (أنزَلَ) أنسب له من الفعل (نَزَّلَ) ، وعليه يكون استعمال الفعل (أنزَلَ) – هنا – استعمالاً بليغاً ، والله أعلم .

3- (بدَّل) :

قال تعالى: (عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ) (52).

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (بَدَّلَ) دون الفعل (استَبدَلَ) على الرغم من اشتقاقهما من مادّة واحدة (53) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، والسّر في هذا التعبير إنَّما يكمن في المعاني الخاصة لصيغتي الفعلين ، فالفعل (بَدَّلَ) على صيغة (فَعَّلَ) الدّالة على التعدية (54)، والفعل (استَبدَلَ) على صيغة (استَفعَلَ) الدّالة على التعدية والمبالغة (55) ، فالمبالغة في هذه الصيغة هي الفارق بين المعنيين ، وعليه يكون الفعل (استَبدَلَ) دالاً على المبالغة في (التّبديل) بخلاف الفعل (بَدَّلَ) ، وبعرض معنيي الصيغتين على المقام نتوصل – إنْ شاء الله – إلى سرّ التعبير ، وذلك عن طريق الموازنة بين قوله تعالى: (عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ) (56) ، وقوله تعالى: (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (57) ، فنجد أنَّ الفعل (بَدَّلَ) في الآية الأولى يناسب المقام الذي ورد فيه لوجود لفظة (أمثالَكُم) التي تَعني كما ذهب بعض المفسرين " ... نُبدِّلُ منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق ... ويجوز أنْ يكون أمثالكم جمع مثل أي: على أنْ نُبدِّل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفاتٍ لا تعلمونها " (58) ، وهذا يعني أنَّ التبديل – هنا – يكون بالمثل مع إضفاء تغييرات على هذا المثل في الأخلاق والصفات ونحو ذلك ، وليس تبديلاً كاملاً ، بخلاف قوله تعالى: (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (59) ، ففي هذا المقام إشارةٌ إلى تبديل قومٍ بقوم آخرين لا يشبهونهم لا بالذوات ولا الصفات ، أي فيه إشارةٌ إلى انتهاء مجموعة بشرية وفنائها ومجيء مجموعة غيرها مختلفة عنها ، وقد أكّد تعالى هذا بقوله (ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثَالَكُم) ، فالتغيير في قوله (غَيرَكم) وتأكيده في قوله (ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثَالَكُم) فيه من المبالغة

الشديدة في التّبديل ما يستدعي استعمال الفعل (استَبدَلَ) – في هذا الموضع – وعليه يكون استعمال الفعل (بَدَّلَ) الدّال على التغيير الجزئي في قوله تعالى (على أنْ نُبَدِّلَ أمثَالَكُم ...) الآية، أنسب للمقام ومقتضى الحال من استعمال الفعل (استَبدَلَ) الدّال على التغيير الكلي ، والله أعلم .

4- (تخيَّر) :

قال تعالى: (وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ) (60) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (تَخَيَّرَ) دون الفعل (اختارَ) على الرغم من اشتقاقهما من مادّة واحدة (61) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، ولابدَّ لذلك التعبير من سرٍّ ، فللكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ الفعل (تَخَيَّرَ) ورد ضمن السّياق الآتي:

قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (62) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم للسابقين من المؤمنين ، فالسّر – إذن – يكمن في المعاني الخاصّة لصيغتي الفعلين ، فالفعل (تَخَيَّرَ) على صيغة (تَفَعَّلَ) التي من معانيها الطلب (63) ، والفعل (تَخَيَّرَ) من الأفعال الدّالة على ذلك المعنى ، أي طلب ما هو خير (64) ، أمّا الفعل (اختارَ) فهو على صيغة (افتعلَ) التي من معانيها الأخذ (65) ، والفعل (اختارَ) من الأفعال الدّالة على ذلك المعنى ، يقول الرّاغب الاصفهانيّ " ... فإنَّ الإختيار أخذ ما يراه خيرا " (66) ، ويقول أبو البقاء الكفويّ: " كما أنَّ الإختيار تناول خيره " (67) ، ويعني أخذ خير الشيء، وبعرض معنيي الصيغتين وهما (الطلب والأخذ) على المقام ومقتضى الحال فإنَّنا نجد أنَّ المعنى الأوّل وهو (الطلب) أنسب للمقام بوصفه مقام تكريم للسابقين ، فهم

يطلبـون مـا يشـاؤون مـن الفاكهـة وهنـاك مـن يأتيهـم بهـا مـن الخـدم أمثـال الولدان المخلّدون وغيرهم دون الحاجـة إلـى بـذل جهـد فـي حركـة أو سير أو غير ذلك ، فالفعـل (تَخَيَّـرَ) – إذن – يناسب المقـام – هنـا – كمـا يناسـب مقتضى حال السابقين الذي يُوجب لهم الرّاحة والدّعة ونحو ذلك ، بخلاف الفعل (اختارَ) الدّال على الأخذ والذي من مقتضياته الحركة والقيـام والسير لأخـذ المـأخوذ وهذا ينـافي المقـام ومقتضـى الحـال ، وعليـه يكون استعمال الفعـل (تَخَيَّـرَ) أبلـغ – فـي هذا الموضـع – مـن استعمـال الفعـل (اختـارَ) ، وليس بصوابٍ ما ذهب إليه بعض المفسرين (68) من أنَّ (تَخَيَّرَ واختـارَ) بمعنى واحد ، فقد جعلوا (التّخير) الدّال على الطلب بمعنى (الإختيار) الدّال علـى الأخـذ ، ففـي مفهومهم نجـد أنَّ تَخيُّرَ الشـيء يعنـي أخـذُ خيـره، والـذي جرّهم إلى هذا هو إغفال النظر في السّياق وعدمِ مراعاةِ ما يتطلّبه المقام وما يقتضـيهِ الحـال . وللكشـف عن سرّ تخصـيص التخيير بالفاكهـة والاشـتهاء بـاللحم ، أتـرك الكـلام للـرازيّ إذ يقـول: " ... هـل فـي تخصـيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة ؟ قلت: وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة ، ... ، والذي يظهر لي أنَّ اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسـه إلى اللحم ، وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلـى الفاكهـة ، والجائع مشته والشبعان غير مشته، وإنَّما هو مختـار إنْ أرادَ أكلَ ، وإنْ لم يُرِدْ لا يأكل ، ولا يُقال في الجائع إنْ أرادَ أكلَ ؛ لأنَّ إنْ (69) لا تدخل إلاّ على المشكوك ، إذا علم هذا ثبت أنَّ فـي الدنيا اللحم عند المشتهي غير مختار(70) والفاكهة عند غير المشتهي مختـارة وحكايـة الجنـة علـى مـا يفهـم فـي الدنيـا فخصّ اللحم بالاشتهـاء والفاكهـة بالاختيـار ... " (71) والله أعلم .

5- (تفكَّه) :

قال تعالى: (لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) (72) .

جـاء التعبيـر فـي هـذه الآيـة باسـتعمال الفعـل (تَفَكَّهُـونَ) دون الأفعـال (تَفْكَهُونَ) أو (تَتَفَكَّهُونَ) علـى الـرغم مـن اشـتقاقهما جميعـاً مـن مـادّة واحـدة (73) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، وللكشف عن السّر فـي هذا التعبير نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ الفعل (تَفَكَّهُونَ)

ورد في سياق الآيات التي خاطبت أصحاب الشمال وهي قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) (74) .

فالسّياق العام لهذه الآيات يُبيّن فضل الله تعالى عليهم بما مدَّهم بهِ من الزّرع الذي لم يكن لهم فضلٌ فيه سوى الحراثة ، ثمّ يُبيّن تعالى أنَّه لو شاء أنْ يجعل هذا الزرع حطاماً فماذا سيكون موقفهم عندئذ ؟

يقول تعالى (... فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) (75) هذه الصورة ، وهي صورة الإنفاق على تلك المزروعات وتحمل الديون من أجلها ثم الحرمان منها (76) توحي بندم أصحاب الشّمال ندماً شديداً ، فجاء التعبير بقوله تعالى (تَفَكَّهُونَ)؛ لأنَّ من معاني التَّفَكُّه هو التَّنَدُّم مع التّحير والتّعجب (77) ، وشدة هذا النّدم متحققةً في صيغة الفعل (تَفَكَّه) وهي صيغة (تَفَعَّلَ) الدّالة على المبالغة (78) وهو ما يناسب المقام الذي يستلزم بيان المبالغة والشدة في النّدم كما يناسب مقتضى حال أصحاب الشّمال نتيجة شعورهم بالخسارة والحرمان ، في حين لا نجد هذا المعنى في الفعل (تَفْكَهُونَ) وعليه فهو لا يناسب المقام ومقتضى الحال ، ومن جانب آخر نلاحظ أنَّ الفعل (تَفَكَّهُونَ) ورد – ضمن هذا السّياق – ببناءٍ ناقصٍ محذوفٍ منه إحدى تاءيهِ (79) إشارةً إلى أنَّ هذا التفكّه في منزلة وسطى بين منزلتين:

الأولى: المنزلة المستمدّة من الفعل المجرّد (تفكهون) ، وهي دالّة على اليسير من التّندم والتّحير والتّعجب .

الثانية: المنزلة المستمدّة من الفعل المزيد (تتفكّهون) ، وهي دالّة على شدة التّندم والتّحير والتّعجب . فدلالة (تفكّه) بحذف إحدى التاءين هي الحالة الوسطى للتّندم والتّحير والتّعجب ، فلا هي بيسيرة ولا هي بشديدة كل الشدة ، وهذا الأمر يناسب المقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّ الحديث – هنا – عن حالة دنيوية مهما بلغ التّندم فيها شدة فلن يكون بمنزلة التّندم في الآخرة، والله أعلم .

6- (تذكَّر) :

قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) (80) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (تَذَكَّرُونَ) دون الأفعال (تَتَذَكّرُونَ) أو (تَذَّكَّرُونَ) أو (تَذْكُرُونَ) على الرغم من اشتقاقها جميعاً من مادّة واحدة (81) تجعل المعنى العام الذي يجمعهما واحداً ، ولعلّ في الرجوع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال سبيلاً للكشف عن سرّ ذلك التعبير ، ففي السّياق نجد أنَّ هذه الآية وردت ضمن الآيات التي خاطبت أصحاب الشّمال وهي قوله تعالى: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ* أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) (82) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تذكير بالنشأة الأولى لهم ، أي خلقهم ، ففيه نجد أنَّ الله تعالى يخاطب أصحاب الشّمال المكذبين بيوم البعث والنشور مذكراً إياهم بنشأتهم الأولى بقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) (83) ، أي " علمتم بأنّا خلقناكم من لا شيء فهل نعجزُ عن جمع أجزائكم بعد تفرقها وإعادتها إلى ما كانت عليه ؟ " (84) ، ذلك بعد سؤال كانوا قد طرحوه هو قوله تعالى حكاية عنهم: (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ) (85) ، فتكرار الصيغة الاستفهامية في كلامهم يدلّ على إنكارهم ليوم البعث فقد " ... آمنوا وصدقوا بأنَّ الله خلقهم ، ولكنّهم أنكروا وكذّبوا أنَّه يعيدهم بعد الموت للحساب والجزاء، لأنَّ الأول في عقيدتهم ممكن ، أمّا الثاني فمستحيل ... " (86) ، فجاء التعبير – هنا – باستعمال الفعل (تَذَكَّرُونَ) بتاءٍ واحدةٍ مناسبةً للمقام ومقتضى الحال ، فهو يُستعمل في المقامات التي تحتاج إلى شيءٍ قليلٍ من التأمل والتذكر كما يُستعمل في السّياقات القائمة على الإختصار والإيجاز فيؤتى به ببناءٍ ناقصٍ محذوفٍ منه إحدى تاءيهِ إشارةً إلى ذلك (87) ، فناسب الفعل (تَذَكَّرُونَ) المقام الذي ورد فيه إذْ بمقدور أيّ إنسانٍ أنْ يتذكّر خلقه وإيجاده من العدم بقليل من التأمل والتفكر دون الحاجة إلى الإطالة في ذلك، وناسب مقتضى حال أصحاب الشّمال ؛ لأنَّهم آمنوا بأنَّ الله تعالى خلقهم إلاّ أنهم أنكروا إعادتهم بعد الموت ، فقليلٌ من التأمل وشيء يسير من التذكر للنشأة الأولى التي

آمنوا بها كفيلٌ بأنْ يجعلهم يؤمنون بالعودة إلى الحياة مرّة أخرى بعد الموت وذلك لأنَّ " ... ابتداء الخلق وإعادته بعد الموت هما من باب واحد بالنسبة إلى قدرة الله تعالى ، بل الإعادة أهون لأنَّ الخلق إيجاد من لا شيء ، والإعادة جمع لأجزاء متفرقة ... " (88) .

أمّا الفعل (تَتَذَكَّرُونَ) فلا يناسب المقام – هنا – ولا مقتضى الحال ؛ لأنَّه يُستعمل بكاملِ بنائهِ دون أيِّ حذفٍ يُذكر فيهِ في المقامات التي تحتاج إلى طول تأمل وتذكر وتفكر وإدامة نظر في سبيل الوصول إلى الحقائق ، كما يُستعمل في المقامات القائمة على الإسهاب والتفصيل في القول ، فيؤتى به كامل البناء إشارةً إلى ذلك (89) ، والمقام – في هذه الآية – لا يحتاج إلى طول وقت في التذكر – كما ذُكر آنفاً – كما أنَّ مقتضى حال أصحاب الشّمال لا يُوجب لهم ذلك ، فبمجرد تذكر النشأة الأولى يحصل الإيمان بالإعادة ، وهو أمرٌ ميسور لا يحتاج إلى إطالة .

وكذلك الفعل (تَذَّكَّرُونَ) لا يتناسب – في هذا الموضع – مع المقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّه يُستعمل " ... لما كان فيهِ هزَّةٌ للقلب ... وقوَّةٌ في التذكر ، ... " (90) ، والمقام لا يحتاج إلى تلك القوة كما أنَّ أصحاب الشّمال غير محتاجين إلى هزّةٍ قلبيّةٍ بقدر ما يحتاجون إلى تذكرٍ عقليٍّ يسير وصولاً إلى الإيمان بالإعادة بعدما آمنوا بالإنشاء ، فقد آمنوا بجزءٍ وأنكروا الآخر ، وهزّةُ القلبِ إنَّما تكون لمنكر الجزأين معاً .

وكذلك الحال مع الفعل (تَـذْكُرُونَ) فهو الآخر لا يناسب المقام ومقتضى الحال – في هذه الآية – لأنَّه يدلّ على أنَّ (الذّاكِر) يذكر مطلقاً دون مذكّر وهذا لا يلائم المقام بوصفه مقام تذكير ، كما لا يلائم مقتضى الحال ؛ لأنَّ فيه إشارة إلى أنَّ أصحاب الشّمال في تذكر دائم للنشأة الأولى دون مذكّر ، وحالهم يقتضي العكس ؛ لأنَّهم لو كانوا كذلك لما احتاجوا إلى من يذكرهم وهو (الله تعالى) ولما أنكروا الإعادة بعد الموت ، فالذي يذكر الإنشاء ويؤمن به يذكر الإعادة ويؤمن بها بالضرورة ، فيتّضح ممّا تقدّم أنَّ استعمال الفعل (تَذَكَّرُونَ) أنسب للمقام ومقتضى الحال – ضمن السّياق الذي ورد فيه – من استعمال الأفعال (تَتَذَكَّرُونَ ، تَذَّكَّرُونَ ، تَذْكُرُونَ) ، والله أعلم .

ثانياً/ بلاغة الفعل المبني للمجهول

1- (رُجّ) :

قال تعالى: (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) (91) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (رَجَّ) بصيغة المبني للمجهول دون إظهار الفاعل ، فقال تعالى: (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا)، دون القول (إذا رَجَّ اللهُ الأرضَ رَجّاً) ، ولابدَّ لذلك التعبير من سرٍّ ، وللكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، ففي السّياق نجد أنَّ هذه الآية وردت ضمن قوله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً) (92) .

وبالنظر إلى المقام نجد أنَّ الله تعالى يصف لنا حال الأرض عند قيام الساعة بقوله (رُجَّتِ الأرضُ) أي " حُرّكت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيءٍ فوقها من جبلٍ وبناءٍ " (93) ، فجاء التعبير باستعمال الفعل المبني للمجهول (رُجَّت) للدّلالة على أنَّ التركيز في هذا السّياق منصب على الحدث بالدّرجة الأولى بوصفه حدثاً عظيماً وهو (قيام الساعة) هذا من جانب ، ومن جانب آخر يشير الفعل المبني للمجهول إلى أنَّ الفاعل معلوم جداً ولا حاجةَ لذكره (94) وهو (الله تعالى) إذْ لا يمكن لأيِّ احد أنْ يحرك الأرض فينهدم كل ما عليها مهما أوتي من قوّة سوى (الله تعالى) خالقها ومدبر شؤونها ، ثم إنَّ بناء الفعل للمجهول فيه من الترهيب والتخويف ما يناسب مقتضى حال أكثر الناس ممن هم في غفلة من ذلك اليوم ، لأنَّ مجيئه على هذه الهيأة يوحي للمستمع عدم وضوح أمور من قبيل (وقت ذلك اليوم وكيفية مجيئه وكيفية حدوث رجّ الأرض فيه) وغيرها ممّا يجعله في تأهب دائم له ، وعليه فيكون مجيء الفعل – هنا – مبنياً للمجهول أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من إظهار الفاعل ، والله أعلم .

2- (بُسَّ) :

قال تعالى: (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) (95) .

جاء التعبير في هذه الآية باستعمال الفعل (بَسَّ) بصيغة المبني للمجهول دون إظهار الفاعل ، فقال تعالى: (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) (96) ، دون القول (وبَسَّ اللهُ الجبالَ بَسّاً) ، وللكشف عن السّر في هذا التعبير نرجع

إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في السّياق الآتي:

قال تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً) (97) .

وبالعودة إلى المقام نجده مقام ترهيب من يوم محتوم هو (يوم القيامة) وفيه يبيّن الله تعالى حال الجبال بقوله: (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) (98) ، أي " وفنت حتى تعود كالسويق (99) ... " (100) ، فمجيء الفعل مبنياً للمجهول أبلغ في مقام الترهيب بالنسبة للمستمع لغياب أمور مهمة مثل (الوقت والكيفية) ممّا يجعله على استعداد له وفي حذر منه كما أنَّ التركيز على الحدث وهو (يوم القيامة) الذي سيتم فيه بسّ الجبال ادعى لأنْ يكون الفعل مبنياً للمجهول من إظهار الفاعل وهو (الله تعالى) ؛ لأنَّه معلوم (101) إذْ لا يقوى أحد على هذا الفعل غيره تعالى ، إذن فمجيء الفعل مبنياً للمجهول دون إظهار الفاعل – في هذا السّياق – ناسب المقام ومقتضى الحال من جانبين:

الأوّل: أنَّ التركيز في المقام منصب على الحدث حصراً أمّا الفاعل فمعلوم وهو (الله تعالى) .

الثاني: أنَّ مقتضى حال المستمعين بما هم عليه من غفلة من ذلك اليوم يُوجب لفت انتباههم بشدّة باستعماله مبنياً للمجهول زيادةً في إيقاع الرهبة والخوف في نفوسهم ممّا يدفعهم إلى العمل من أجله ، والله أعلم .

المبحث الرابع
بلاغة الحرف

أولاً- بلاغة حرف الجر (على) :

1- قال تعالى: (عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (102)) (103) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (على) دون ظرف المكان (فوق) على الرغم من تقارب المعنيين بينهما ، ولمعرفة سرّ هذا الاستعمال تحديداً نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت ضمن السّياق الآتي:

قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) (104) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم ، ففيه يصف الله تعالى حال السابقين مبيناً جزاءهم في الجنة ، ومعلوم أنَّ للسابقين المركز الأول بين المؤمنين ، فهم على درجة عالية جداً من الإيمان بالله تعالى والإلتزام بأوامره ونواهيه وهذا يعني بالضرورة أنَّ لهم مكانة خاصة وعالية عنده تعالى وإلاّ لما وصفهم بالسابقين ، فجاء التعبير بحرف الجر (على) ؛ لأنَّ من معانيه الإستعلاء والتمكن من الشيء (105) ، وهو ما يناسب المقام – في هذا الموضع – الذي يستلزم إظهار غاية الإكرام كما يناسب مقتضى حال السابقين الذي يُوجب لهم ذلك ، فهم (على سُرُر) أي أعلى السُّرُر مرتفعين عليها ومتمكنين منها وكل شيء آخر دونهم وهذا الحال يناسب علو منزلتهم .

أمّا ظرف المكان (فوق) فإنَّه لا يُعطي معنى الاستعلاء تماماً (106)؛ لأنّنا إذا قلنا – مثلا – الكتاب فوق الرفوف ، فيحتمل أنْ يكون الكتاب في مكان عالٍ من الرفوف ولكن قد تعلوه كتب أخرى بخلاف قولنا: الكتاب على الرفوف ، أي أنَّه يوجد في أعلى مكان فيها ، فإذن معنى الإستعلاء في حرف الجر (على) أنسب وأليق للمقام ومقتضى الحال من معنى الفوقية في (فوق) لذلك جاء التعبير – هنا – بـ (على) دون (فوق)، والله أعلم .

2- قال تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) (107) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (على) دون ظرف المكان (بينَ) أو (حولَ) ، فقال تعالى (عليهم) دون (بينَهم) أو (حولَهم) ، ولابدَّ لذلك التعبير من سرٍّ ، وللكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت ضمن السّياق الآتي:

قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ) (108) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم ومثوبة للسابقين ذوي المنزلة الرفيعة والمكانة العالية ، ومن صوره طواف الولدان عليهم بالمعين ، ولما كان السابقون متساوين في المنزلة وجب أنْ يكون جزاء كلٍ منهم مماثلاً لجزاء الآخر ، فجاء التعبير – هنا – بحرف الجر (على) ؛ لأنَّ من معانيه الاستعلاء والسيطرة والتمكن من الشيء (109) ، أي أنَّ الولدان يطوفون على السابقين من أعلى مكان بحيث يتمكنون من خدمتهم فرداً فرداً دون إغفال واحد منهم ، وهذا ما يلائم المقام الذي يستلزم إظهار التكريم للسابقين بشكل متساوٍ كما يلائم مقتضى حالهم الذي يُوجب لهم ذلك التكريم . أمّا لو قيل – في غير القرآن – (يطوفُ بينَهم) باستعمال ظرف المكان (بينَ) لدلّ ذلك – عندئذٍ – على وجود الولدان وسط السابقين وقد يؤدي الطواف في هذه الحالة إلى الإشتباه أو الخلط في تقديم الخدمة أو عدم تقديمها ممّا قد يؤدي إلى ترك فرد أو فردين من السابقين دون خدمة وهذا ينافي المقام ومقتضى الحال ، وكذلك الحال في استعمال ظرف المكان (حولَ) فإنَّه لا يؤدي – هنا – المعنى المناسب للمقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّه يدلّ على أنَّ الولدان غير قادرين على تقديم الخدمة للمستحقين بشكل متساوٍ ، فخدمتهم مقصورة على أنفار معدودين هم الموجودون في الأطراف القريبة منهم فقط دون غيرهم ، فقولنا: مشيتُ حولَ الحديقةِ ، يعني أنَّني اكتفيتُ مِن الحديقةِ بأجزائها الخارجية المحيطة بها دون أنْ أتوغل فيها أو أتوسطها ، وعليه فيكون التعبير – هنا – بحرف الجر (على) أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من التعبير بظرف المكان (بينَ) أو (حولَ) ، والله أعلم .

3- قال تعالى: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) (110) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (على) دون الظرف (مع) الذي يبدو للوهلة الأولى أنَّه بمعناه ، ولابدَّ لذلك من سرٍّ، فللكشف عنه نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في السّياق الآتي: قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (111) .

يَتبيّن من سياق الآيات – أعلاه – أنَّ الله تعالى يُبيّن لنا حال الضّالين المكذّبين في الآخرة وما يلاقونه من العذاب نتيجة ضلالهم وتكذيبهم مبيناً نوع الطعام الذي يأكلونه وهو (الزّقوم) الذي يمتاز بمرارة طعمه (112) ، ومعروف أنَّ الإنسان لا يستسيغُ الطعم المر فيسارع دائماً إلى ما يزيله وهو (الماء) فإذا بالمكذّبين يجدون هذا الماء الذي يشربونه على نحو مباشر بعد الزّقوم ماءً ساخناً لا يحقق لهم الراحة المرجوة ، فجاء التعبير بـ (على) – هنا – لأنَّ من معانيه الإستعلاء (113) الذي نفهم منه معنى المصاحبة المباشرة ؛ أي مصاحبة المشروب (الذي يكون ثانياً) للمأكول (الذي يكون أولاً) مباشرة ، فالمشروب – إذن– يعقب المأكول مباشرة ويعلوه ، وهو ما يناسب المقام ، فهو أبلغ لبيان سوء عاقبة المكذّب في الآخرة وأظهر في مقام التخويف والترهيب من استعمال الظرف (مع) الذي قد يدلّ على حدوث الأكل أولاً ثم الشرب أو بالعكس أي الشرب أولاً ثم الأكل أو كلاهما معاً دون تحديد الكيفية ، ومقتضى حال المكذّب يستدعي توضيح كيفية العذاب الذي يلقاه بأنَّه عذاب شديد ومباشر ومتعاقب ومتواصل ، ومن جهة أخرى يشير (على) إلى أنَّ المأكول لشدة مرارة طعمه – وفي هذا إشارة إلى شدّة العذاب – يستدعي المشروب الذي يعقبه وهو الماء الحميم أي الماء الحار (114) - وفي هذا إشارة إلى الزيادة في شدّة العذاب – وقد أشار الزمخشريّ إلى معنى قريب من هذا في قوله " والمعنى: أنَّه يُسلط عليهم من الجوع ما يضطرّهم إلى أكل الزّقوم الذي هو كالمهل (115) فإذا ((ملؤوا منه البطون)) يُسلط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذي يقطّع أمعائهم فيشربونه شرب الهيم (116) " (117) . وتابعه على ذلك أبو السعود (118) في تفسيره ، لذلك كان التعبير بحرف الجر (على) أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من التعبير بالظرف (مع) ، والله أعلم .

ثانياً- بلاغة حرف الجر(في) :

1- قال تعالى: (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً) (119) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (في) دون حرف الجر (الباء) أو ظرف المكان (هناك) ، ولعلّ في الرجوع إلى السّياق والمقام ومقتضى

الحال وسيلةً للتوصل إلى سرّ هذا التعبير ، فنجد هذه الآية وردت في السّياق الآتي: قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ *عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلاّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً) (120) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم ومثوبة للسابقين بوصفهم الفئة المقدمة على سائر المؤمنين ، ففيه يُبيّن الله تعالى جزاءهم في الجنة ومن صوره إبعاد اللّغو التّأثيم عنهم ، فجاء التعبير بحرف الجر (في)؛ لأنَّ من معانيه معنى الظرفية المكانية (121) ، وهو ما يلائم المقام ومقتضى الحال – هنا– لأنَّ فيه دلالة على نفي سماع السابقين للّغو والتّأثيم داخل الجنّة حصراً وليس في مكان آخر ، ممّا يعني بالضرورة وجود السابقين وسط الجنة ، كما فيه نفي قطعي لوجود هذا النوع من الكلام داخل الجنّة مع إمكانية وجوده خارجها ، في حين لو استعمل حرف الجر (الباء) بديلاً عن حرف الجر (في) – هنا– لما أدّى المعنى المناسب للمقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّه سيعطي – حينئذٍ – معنى الإلصاق (122) كقولنا: مررت به ، أي في مكان ملاصق له أو قريب منه (123) ، فلو قيل – في غير القرآن – (لا يَسمَعُونَ بِها لغواً ولا تَأثيماً) لدلّ حرف (الباء) على نفي سماعهم للّغو والتّأثيم في مكان ملاصق للجنة أو قريب منها فإذن يحتمل وجوده داخلها هذا من جانب ، ومن جانب آخر يشير (الباء) إلى وجود السابقين في مكان ملاصق للجنّة أو قريب منها وليسوا متوسطين فيها ممّا لا يناسب مقتضى حالهم كما لا يناسب المقام الذي يستلزم إظهار غاية الإكرام لهم كما يستلزم عدم وجود اللّغو والتّأثيم داخل الجنّة ولا بأس في وجوده خارجها كأنْ يكون – مثلاً – بين أهل النار ، كذلك الحال مع ظرف المكان (هناك) فإنَّ استعماله – في هذا الموضع – لا يؤدي المعنى الملائم للمقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّه لا يفصح عن موقع محدد ، وبالتالي فإنَّ المقصود من الكلام سيحتمل معاني غير محددة (124) وهذا خلاف المطلب ، وعليه فيكون

استعمال حرف الجر (في) – هنا – أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من استعمال حرف الجر (الباء) أو ظرف المكان (هناك) ، والله أعلم .

2- قال تعالى: (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (125)) (126) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (في) دون (اللام) الذي يبدو كأنَّه بمعناه ، ولمعرفة سرّ هذا التعبير – هنا – نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في السّياق الآتي:

قال تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاء مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ) (127) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم لأصحاب اليمين ، ففيه يصف الله تعالى أحوالهم ونعيمهم فيها ، فجاء التعبير بحرف الجر (في) ؛ لأنَّ من معانيه معنى الظرفيّة المكانيّة (128) ، فقولنا: الطالبُ فِي الصّفِ ، يعني أنَّه داخل فيه ومحاط بكل أجزائه فكذلك قوله تعالى (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) (129) يعني أنَّ مكان أصحاب اليمين داخل الجنة ، فهم متوسطون فيها ومحاطون بشجرها من كلّ الجهات ومنه هذا الشجر المعروف الخالي من الشوك (130) جزاءً بما أسلفوا في الحياة الدنيا ، فاستعمال حرف الجر (في) أعطانا صورة واضحة لكيفية ذلك الجزاء وهو ما يناسب المقام ومقتضى الحال ، كما كان له تأثير بالغ في مقام الترغيب لدى المستمعين .

أمّا لو قيل – في غير القرآن – (لَهم سِدرٌ) لما ظهر – هنا – المعنى المناسب للمقام ؛ لأنَّ حرف الجر (اللام) سيعطي – عندئذٍ – معنى الإستحقاق (131) أي أنَّ أصحاب اليمين يستحقون ذلك الجزاء غير أنَّه لا يُبيّن كيفيتهِ ، وغياب الكيفية يقلّل من شأن الترغيب كما يقلّل من التّعظيم في بيان نعيمهم ، وهذا لا يناسب المقام ومقتضى الحال ، والله أعلم .

3- قال تعالى: (فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ) (132) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (في) دون (اللام) مع انَّه بديلٌ مفترض ، وللتّوصل إلى السرّ في هذا لابدَّ لنا من الرجوع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في السّياق الآتي:

قال تعالى: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ) (133) .

وبالنظر إلى المقام نجده مقام تعذيب لأصحاب الشّمال وترهيب للمستمعين ، ففيه يصف الله تعالى حال أصحاب الشّمال وما يقاسونه من ألوان العذاب الذي من صوره السَّموم وهي الريح الساخنة التي تُسِم اللحم والدم والحميم ذلك الماء الذي يغلي في البطون (134) ، فجاء التعبير باستعمال حرف الجر (في) ؛ لأنَّ من معانيه معنى الظرفيّة المكانيّة (135) ، فهو حرف يشير إلى مكان وجودهم وهو (النار) فهم داخلون فيها ومقيمون بها ومحاطون بكل أجزائها ، فاستعمال (في) يعطينا انطباعاً واضحاً عن سوء عاقبة المكذب كما يُشعرنا بشدّة العذاب وقوته فهو يلائم المقام ومقتضى حال المكذّبين الذي يستلزم وجودهم داخل النار حصراً دون غيرها ، ومن جانب آخر فإنَّ حرف الجر (في) أظهر للمعنى في مقام التخويف والترهيب والتحذير بالنسبة إلى المستمع . أمّا لو قيل – في غير القرآن – (لَهم سَمومٌ وحَميمٌ) لما أدّى حرف الجر (اللام) المعنى المناسب للمقام ومقتضى الحال ؛ لأنَّه سيعطي – عندئذٍ – معنى الاستحقاق (136)، أي أنَّ المكذبين يستحقون ذلك العذاب ولكن دون بيان كيفيته ، وغياب الكيفية يقلّل من شأن التخويف كما يغيب معها التهويل في بيان حال المكذّبين (إظهار شدة العذاب) وهذا خلاف المطلب ، والله أعلم .

ثالثاً- بلاغة حرف الجر (عن) :

قال تعالى: (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ) (137) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (عن) دون (من) الذي يبدو للوهلة الأولى أنَّه بمعناه ، وللكشف عن سرّ التعبير به – هنا – أتركُ الكلام للرازيّ إذْ يقول:

" ... إنْ كان المراد نفي الصداع فكيف يحسن عنه مع أنَّ المستعمل في السبب كلمة منها ، فيقال: مرض من كذا وفي المفارقة يقال: عن ، فيقال: برئ عن المرض ؟ نقول: الجواب هو أنَّ السبب الذي يثبت أمراً في شيء كأنَّه ينفصل عنه شيء ويثبت في مكانه فعله ، فهناك أمران ونظران إذا نظرت إلى المحل ورأيت فيه شيئا نقول: هذا من ماذا ، أي ابتداء وجوده

من أي شيء فيقع نظرك على السبب فتقول: هذا من هذا أي ابتداء وجوده منه ، وإذا نظرت إلى جانب المسبب ترى الأمر الذي صدر عنه كأنَّه فارقه والتصق بالمحل ، ولهذا لا يمكن أنْ يوجد ذلك مرة أخرى، والسبب كأنَّه كان فيه وانتقل عنه في أكثر الأمر فههنا يكون الأمران من الأجسام والأمور التي لها قرب وبعد ، إذا علم هذا فنقول: المراد ههنا بيان خمر الآخرة في نفسها وبيان ما عليها ، فالنظر وقع عليها لا على الشاربين ولو كان المقصود أنَّهم لا يصدَّعون عنها لوصف منهم لما كان مدحاً لها ، وإمّا إذا قال: هي لا تصدِّع لأمر فيها يكون مدحاً لها فلمّا وقع النظر عليها قال عنها ، وأمّا إذا كنت تصف رجلاً بكثرة الشرب وقوته عليه ، فإنَّك تقول في حقّه: هو لا يُصدَّع من كذا من الخمر، فإذا وصفت الخمر تقول هذه لا يُصدَّع عنها أحد " (138) . يتضح ممّا تقدّم أنَّ استعمال (عن) أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من استعمال (من) ، والله أعلم .

رابعاً- بلاغة حرف الجر (إلى)

قال تعالى: (لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) (139) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (إلى) دون (اللام) الذي يبدو كأنَّه بمعناه ، وللكشف عن سرّ ذلك التعبير، نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال ، فهذه الآية الكريمة وردت ضمن السّياق الآتي: قال تعالى: (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُون قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ) (140) .

وبالعودة إلى المقام نجد أنَّ الله تعالى يتوعّد فيه فئة من الناس هم الضّالون المكذّبون بيوم البعث والحساب مؤكداً اجتماعهم في ذلك اليوم المعلوم عنده تعالى ، فيوم الحساب مصير لابدَّ أنْ ينتهي إليه الناس ومن ضمنهم الضّالون المكذّبون فكان التعبير بحرف الجر (إلى) ملائماً لأنَّ من معانيه الإنتهاء (141) وهو ما يناسب المقام ومقتضى الحال . أمّا لو قيل – في غير القرآن – (لَمجمُوعُونَ لِميقاتِ ...) لدلّ حرف الجر (اللام) – هنا

– على معنى التعليل (142) أي أنَّ الجمع سيكون من أجل الميقات والحال يقتضي خلاف ذلك ؛ لأنَّ الجمع لا يكون من أجل الميقات نفسه وإنَّما يكون من أجل الحساب في ذلك الميقات لذلك كان التعبير بـ (إلى) أبلغ وأنسب للمقام ومقتضى الحال من التعبير بـ (اللام) ، والله أعلم.

خامساً- بلاغة حرف الجر (اللام) :

قال تعالى: (فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) (143) .

جاء التعبير في هذه الآية بحرف الجر (اللام) في قوله تعالى (لك) دون حرف الجر (على) الذي يبدو للوهلة الأولى أنَّه بمعناه ، ولمعرفة السّر في هذا الاستعمال تحديداً نرجع إلى السّياق والمقام ومقتضى الحال، فنجد أنَّ هذه الآية وردت في سياق الآيات التي بَيّنت جزاء أصحاب اليمين وهي قوله تعالى:

(وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) (144) ، وبالنظر إلى المقام نجده مقام تكريم ومثوبة لأصحاب اليمين وعليه فيكون التعبير بـ (اللام) ملائماً ؛ لأنَّ من معانيه الاستحقاق (145) أي أنَّ أصحاب اليمين يستحقون ذلك السّلام من إخوانهم وهو صورة من صور التكريم ، وهذا ما يلائم المقام ، كما أنَّ حرف الجر (من) في قوله تعالى(فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِين) (146) يعني –هنا– ابتداء الغاية (147) ، فنفهم منه أنَّ أصحاب اليمين لا يصدرُ منهم إلا السّلام وهذا ما يلائم مقتضى حالهم ، فكان التعبير بـ (اللام) – في هذا الموضع – أبلغ مما لو جاء التعبير بـ (على) الذي يعطي معنى الإستعلاء – هنا – فنفهم منه أنَّ السّلام صادرٌ من مرتبة أعلى إلى مرتبة أدنى وهذا خلاف الحقيقة والله أعلم ، وليس بصوابٍ ما ذهب إليه بعض المفسّرين من أنَّ (لكَ) بمعنى (عليكَ) (148) ، وذلك لما ذَكرتهُ الباحثةُ – أعلاه – من ضرورات يقتضيها السّياق والمقام والحال ، والله أعلم .

الخاتمة

كان هذا بحثاً وجيزاً قصدتُ به إلى إثبات بلاغة الكلمة في القرآن إثباتاً تطبيقياً تحليلياً فاخترتُ سورة الواقعة لتكون مجالاً لهذا التطبيق ، للكشف عن بلاغة كل أنواع الكلمة (الاسم ، الفعل ، الحرف) ، وقد كانت نتائج البحث متآزرة متعاضدة أذكرُ أهمها إيجازاً:

1- إنَّ للكلمة أثراً بليغاً في تحقيق بلاغة الكلام .

2- إنَّ اختيار الكلمة البليغة راجع إلى بلاغة المتكلم .

3- إنَّ المتكلم البليغ هو الذي يأتي بالكلام مطابقاً لمقتضى الحال والسياق والمقام .

4- إنَّ بلاغة الكلمة لا أثر لها وهي خارجة عن السياق والمقام .

5- لا يمكن الوصول إلى بلاغة الكلمة أو سرّ التعبير بها إلاّ بعد النظر في دلالة السّياق والمقام المناسبين ، فليست البلاغة راجعة فيها إلى اللفظ دون النظم .

6- إنَّ بلاغة الكلمة قد تكون بسبب الدّقة في اختيارها من مادّة اشتقاقية تتضمن دلالة مناسبة لدلالة السّياق والمقام ، لا نجدها في الكلمة البديلة .

7- وقد تكون بلاغة الكلمة راجعة إلى الدّقة في صياغتها على صيغة صرفيّة تتضمن دلالة مناسبة لدلالة السّياق والمقام ، لا نجدها في الكلمة البديلة .

8- حتى لحروف الجر اثر كبير في بلاغة الكلام ؛ لأنَّها – وإنْ كانت حروفاً – دالّة على معانٍ دقيقة مهمة .

الهوامش

(1) الواقعة: 53 .
(2) الواقعة: 54 .
(3) الواقعة: 49 – 56 .
(4) ينظر: معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي ، ص 46 .
(5) المصدر السابق نفسه ، ص 46 .
(6) الواقعة: 6 .
(7) الواقعة: 1 – 6 .
(8) الواقعة: 6 .
(9) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور، مادة (بثث) .
(10) ينظر: المعاني الصرفيّة للفعل الثلاثيّ المزيد بحرفين في القرآن الكريم ، رضا هادي ، ص 26 .
(11) ينظر: الخصائص ، ابن جني ، 267/3 ، ومعاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، 11/1 ،
ومعاني الأبنية في العربية ، ص 7 .
(12) الواقعة: 17 .
(13) الواقعة: 10 – 19 .
(14) معاني الأبنية في العربية ، ص 59 .
(15) ينظر: الكشّاف ، الزمخشري ، ص 1076 ، ومجمع البيان ، الطبرسي ، 216/9 .
(16) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، 393/29 .
(17) الواقعة: 29 .
(18) ينظر: معاني الأبنية في العربية ، ص 60 – 63 .
(19) الواقعة: 29 .

(20) ق: 10 .
(21) ينظر: لسان العرب ، مادة (نضد) ، ومجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ، مادة (نضد) .
(22) الواقعة: 18 .
(23) وردت في الأصل: وكئوس ، والصواب ما أثبتناه .
(24) التفسير الكبير ، 393/29 .
(25) الواقعة: 20 .
(26) الواقعة: 10 – 24 .
(27) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي ، ص 80 .
(28) الواقعة: 20 .
(29) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 79 .
(30) الواقعة: 21 .
(31) الواقعة: 32 – 34 .
(32) الواقعة: 72 .
(33) الواقعة: 71 – 72 .
(34) ينظر: لسان العرب ، مادة (مرخ) ومادة (عفر) .
(35) الواقعة: 73 – 74 .
(36) الواقعة: 10 – 19 .
(37) الواقعة: 88 – 89 .
(38) الواقعة: 88 – 89 .
(39) الواقعة: 88 .
(40) جاء في الأصل: غير السابقون ، والصواب ما أثبتناه .
(41) جاء في الأصل: على عليين ، والصواب ما أثبتناه .
(42) التفسير الكبير ، 390/29 .
(43) الواقعة: 25 .
(44) ينظر: لسان العرب ، مادة (سمع) .
(45) ينظر: المنهاج السوي في التخريج اللغوي ، ظاهر خير الله ، ص 103 .

(46) الواقعة: 25 .
(47) الأعراف: 204 .
(48) الواقعة: 69 .
(49) ينظر: لسان العرب ، مادة (نزل) .
(50) الواقعة: 68 – 70 .
(51) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 64 .
(52) الواقعة: 61 .
(53) ينظر: الصحاح ، الجوهري ، مادة (بدل) ، ولسان العرب ، مادة (بدل) .
(54) ينظر: شذا العرف ، الشيخ احمد الحملاوي ، ص 41 .
(55) ينظر: معاني صيغة استفعل عند المفسرين ، رضا هادي ، ص 144 .
(56) الواقعة: 61 .
(57) محمد: 38 .
(58) تفسير الكشّاف ، ص 1078 .
(59) محمد: 38 .
(60) الواقعة: 20 .
(61) ينظر: الصحاح ، مادة (خير) ، ولسان العرب ، مادة (خير) .
(62) الواقعة: 10 – 24 .
(63) ينظر: شرح المفصل ، ابن يعيش ، 158/7 ، والممتع في التصريف، ابن عصفور، 1/ 193-194،
وشرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي ، 108/1– 109 .
(64) ينظر: لسان العرب ، مادة (خير) ، وأوزان الفعل ومعانيها ، هاشم طه شلاش ، ص 98 ،
والمهذب في علم التصريف ، د. هاشم طه شلاش و د. صلاح مهدي الفرطوسي
و د. عبد الجليل عبيد حسين ، ص 97 .

(65) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها ، ص 93 – 94 ، والمهذب في علم التصريف ، ص 95 .
(66) المفردات في غريب القران ، الراغب الاصفهاني ، ص 232 .
(67) الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، 1 / 203 .
(68) ينظر: الكشّـاف ، ص 1076 ، ومجمـع البيـان ، الطبرسي ، 9 / 217 ، وأنوار التنزيل وأسرار
التأويـل ، القاضي البيضـاوي ، 5 / 286 ، وروح المعاني ، الآلوسي ، 27 / 137 – 138 .
(69) وردت في الأصل: أن ، والصواب ما أثبتناه .
(70) في الأصل (مختار) والصواب ما أثبتناه .
(71) التفسير الكبير ، 396/29 .
(72) الواقعة: 65 .
(73) ينظر: لسان العرب ، مادة (فكه) .
(74) الواقعة: 63 – 67 .
(75) الواقعة: 65 – 67 .
(76) ينظر: التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، 7 / 228 .
(77) ينظر: لسان العرب ، مادة (فكه) .
(78) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها ، ص 340 – 341 .
(79) ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 22 .
(80) الواقعة: 62 .
(81) ينظر: الصحاح ، مادة (ذكر) ، ولسان العرب ، مادة (ذكر) .
(82) الواقعة: 57 – 62 .
(83) الواقعة: 62 .
(84) التفسير الكاشف ، 7 / 228 .
(85) الواقعة: 47 – 47 .
(86) التفسير الكاشف ، 7 / 227 .
(87) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 19 – 23 .
(88) التفسير الكاشف ، 7 / 227 .

(89) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 19 – 23 .
(90) المصدر السابق نفسه ، ص 51 .
(91) الواقعة: 4 .
(92) الواقعة: 4 .
(93) تفسير الكشّاف ، ص 1074 – 1075 .
(94) ينظر: معاني النحو ، 2 / 62 .
(95) الواقعة: 5 .
(96) الواقعة: 5 .
(97) الواقعة: 1 – 6 .
(98) الواقعة: 5 .
(99) السَّويق: ما يُتّخذ من الحنطة والشعير ، ينظر: لسان العرب ، مادة (سوق) .
(100) تفسير الكشّاف ، ص 1075 .
(101) ينظر: معاني النحو ، 2 / 62 .
(102) الموضونة: هي المنسوجة بعضها على بعض كما يوضن الدرع بعضها على بعض،
ينظر: لسان العرب ، مادة (وضن) ، ومجمع البحرين ، مادة (وضن) .
(103) الواقعة: 15 .
(104) الواقعة: 10 – 16 .
(105) ينظر: معاني النحو ، 3 / 41 – 42 ، وجامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ،
3/ 529 .
(106) ينظر: معاني النحو ، 3 / 46 .
(107) الواقعة: 17 .
(108) الواقعة: 10 – 19 .
(109) ينظر: معاني النحو ، 3 / 41 – 42 ، وجامع الدروس العربية ، 3 / 529 .

(110) الواقعة: 54 .
(111) الواقعة: 51 – 56 .
(112) ينظر: التفسير الكاشف ، 7 / 225 .
(113) ينظر: معاني النحو ، 3 / 41 – 42 ، وجامع الدروس العربية ، 3 / 529 .
(114) ينظر: تفسير الكشّاف ، ص 1077 ، والتفسير الكاشف ، 7 / 224 .
(115) المُهل: اسم يجمع معدنيات الجواهر . والمُهل: ما ذاب من صفر او حديد ، ينظر: لسان العرب ، مادة (مهل) .
(116) الهَيمُ: داءٌ يأخذ الإبل في رؤوسها . والهائمُ: المتحيّر . والهيامُ: كالجنون ، ينظر: المصدر السابق نفسه ، مادة (هيم) .
(117) تفسير الكشّاف ، ص 1078 .
(118) ينظر: إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، 196/8 .
(119) الواقعة: 25 .
(120) الواقعة: 10 – 26 .
(121) ينظر: معاني النحو ، 3 / 50 ، جامع الدروس العربية ، 3 / 531 .
(122) ينظر: معاني النحو ، 3 / 17 ، وجامع الدروس العربية ، 3 / 523 .
(123) ينظر: المصدران السابقان نفسهما .
(124) هي المعاني نفسها التي ذكرتها الباحثة آنفا عند حديثها عن حرف الجر (الباء) .
(125) الخضد: نزع الشوك عن الشجر ، ينظر: لسان العرب ، مادة (خضد) ، وكتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي مادة (خضد)، ومجمع البحرين ، مادة (خضد) .

(126) الواقعة: 28 .
(127) الواقعة: 27 – 33 .
(128) ينظر: معاني النحو ، 3 / 50 ، وجامع الدروس العربية ، 531/3 .
(129) الواقعة: 28 .
(130) ينظر: التفسير الكاشف ، 7 / 222 .
(131) ينظر: معاني النحو ، 3 / 55 ، وجامع الدروس العربية ، 533/3 .
(132) الواقعة: 42 .
(133) الواقعة: 41 – 44 .
(134) ينظر: التفسير الكاشف ، 7 / 224 .
(135) ينظر: معاني النحو ، 3 / 50 ، وجامع الدروس العربية ، 531/3 .
(136) ينظر: معاني النحو ، 3 / 55 ، وجامع الدروس العربية ، 533/3 .
(137) الواقعة: 19 .
(138) التفسير الكبير ، 29 / 394 .
(139) الواقعة: 50 .
(140) الواقعة: 47 – 52 .
(141) ينظر: معاني النحو ، 3 / 14 ، وجامع الدروس العربية ، 526/3 .
(142) ينظر: معاني النحو ، 3 / 56 – 57 ، وجامع الدروس العربية ، 3 / 534 .
(143) الواقعة: 91 .
(144) الواقعة: 90 – 91 .
(145) ينظر: معاني النحو ، 3 / 55 ، وجامع الدروس العربية ، 533/3 .
(146) الواقعة: 91 .
(147) ينظر: ينظر : معاني النحو 65/3 – 67 ، وجامع الدروس العربية ، 525/3 .
(148) ينظر: تفسير الكشّاف ، ص 1081 ، ومجمع البيان ، 9 / 228.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم ، برواية حفص بن المغيرة الاسديّ عن عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن
السلميّ عن عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب عن النبيّ ρ .
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمّد بن محمّد العماديّ أبو السعود (ت 951 هـ) ،
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاضي البيضاويّ (ت 791 هـ) ، تحقيق عبد القادر
عرفات العشا حسّونة ، بيروت ، دار الفكر، 1416 هـ/1996 م.
4- أوزان الفعل ومعانيها ، د. هاشم طه شلاش ، النجف الاشرف، مطبعة الآداب ، 1971 م .
5- التفسير الكاشف ، محمّد جواد مغَنيّة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، 1978.
6- التفسير الكبير، الفخر الرازيّ (ت 606 هـ) ، القاهرة ، المطبعة البهيّة المصريّة ،
1357 هـ/1938 م .

7- جامع الدروس العربيّة ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، بيروت ، دار العصريّة ، د.ت .
8- الخصائص ، ابن جنيّ (ت 392 هـ) ، تحقيق محمّد علي النجار ، الهيأة المصريّة العامة للكتاب ، د.ت .
9- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الآلوسيّ (ت 1270هـ) ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، د.ت .
10- شذا العرف في فنّ الصرف ، الاستاذ الشيخ احمد الحملاويّ (ت 1351 هـ) ، مصر ، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ، الطبعة الخامسة عشرة ، 1383 هـ/1964 م .
11- شرح شافية ابن الحاجب ، رضيّ الدين الاستراباذيّ (ت 686 هـ) ، تحقيق محمّد نور الحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت، دار الفكر العربيّ ، 1395هـ/1975م .
12- شرح المفصّل ، ابن يعيش (ت 643 هـ) ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيريّة ، د.ت .
13- الصِّحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة) ، الجوهريّ (ت 393 هـ) ، تحقيق احمد عبد الغفور عطّار ، مصر ، مطابع دار الكتاب العربيّ ، د.ت .
14- العين ، الخليل بن احمد الفراهيديّ (ت 175 هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزوميّ و د. إبراهيم السامرائيّ ، الكويت ، مطابع الرسالة ، 1982/1980 م .
15- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله

محمود بن عمر الزّمخشريّ الخوارزميّ (ت 538 هـ) ، بيروت، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ،
1423 هـ/2002م .
16- الكلّيّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة) ، أبو البقاء الكفويّ أيوب بن موسى الحسينيّ
(ت 1094 هـ) ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمّد المصريّ ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة
والإرشاد القوميّ ، الطبعة الثانية ، 1981 م .
17- لسان العرب ، ابن منظور الافريقيّ (ت 711 هـ) ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .
18- مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحيّ (ت 1085 هـ)، تحقيق السيد احمد الحسينيّ ، النجف الاشرف،
مطبعة الآداب ، الطبعة الأولى ، 1386 هـ .
19- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الطبرسيّ (ت 548 هـ) ، تحقيق هاشم الرسوليّ المحلاتيّ ،
بيروت ، دار إحياء التراث العربيّ ، 1379 هـ .
20- معاني الأبنية في العربيّة ، د. فاضل صالح السامرائيّ ، الكويت ، مطبعة جامعة الكويت ،
الطبعة الأولى ، 1401 هـ/1981 م .
21- المعاني الصرفيّة للفعل الثلاثي المزيد بحرفين في القرآن الكريم ، رضا هادي العقيديّ ،
(البحث التكميلي الأول للماجستير) ، جامعة بغداد ، كليّة العلوم الإسلاميّة ، 1423 هـ/2002 م .
22- معاني صيغة استفعل عند المفسّرين ، رضا هادي العقيديّ ، (البحث التكميلي الثاني للماجستير)،
جامعة بغداد ، كليّة العلوم الإسلاميّة ، 1423 هـ/2003 م .
23- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائيّ ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، 1423 هـ/2003 م .

24- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمّـد فؤاد عبد الباقي ، القـاهرة ، دار الكتب المصريّـة ،
1364 هـ/1945 م .
25- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهانيّ (ت 502 هـ) ، تحقيـق د. محمّد احمد خلف الله ،
مصر ، مكتبة الانجلو المصريّة ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1970 م.
26- الممتع في التصريف ، ابن عصفـور الاشبيليّ (ت 663 هـ) ، تحقيـق فخر الدين قباوة ، بيروت ،
دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الخامسة ، 1403 هـ/1983 م .
27- المنهاج السوي في التخريج اللغويّ، ظاهر خير الله ، تعليق وحواشي أمين ظاهر خير الله ، بيروت ،
مطبعة الاجتهاد ، 1928 م .
28- المهـذّب فـي علـم التصريـف ، د. هاشـم طـه شـلاش و د. صـلاح مهـدي الفـرطوسـيّ
و د. عبد الجليل عبيد حسين ، بغداد ، جامعـة بغداد ، دار الكتب للطباعـة والنشـر ، 1989 م .